مصطلح العنف في الجزائر عند المدرسة البسيكياترا والمدرسة الانثروبولوجية

The term violence in Algeria at the Psychiatra school and the anthropological school

1 فاطمة قزول*

جامعة لونيسي علي البليدة 2، (الجزائر)، guezzoulfatima@yahoo.com

2 طاهر سواكري

جامعة لونيسي علي البليدة 2، (الجزائر)، labocrim@gmail.com

مخبر الجريمة والانحراف بين الثقافة والتماثلات الاجتماعية

تاريخ الارسال2023/02/20 تاريخ القبول 2023/03/01 **تاريخ النشر**2023/06/10

ملخص:

إن لمصطلح العنف دلالات متعددة بحسب المنظور الذي نناقش به هذا السلوك، فتعريف العنف لدى علماء النفس والاجتماع يختلف عنه لدى علماء السياسة والقانون وعلم الإجرام ،فعندما ننظر ونتأمل في مختلف الكتابات والدراسات التي ظهرت مؤخراً والأكثر قدماً منها حول العنف في الجزائر من أجل محاولة تصنيفها وإبراز أهم نتائجها ومن أجل إعطائها فعّالية ملموسة و قراءة وفهم مختلف لمصطلح العنف التي يعرفها المجتمع الجزائري قد نصل إلى نمذجتها وتنميطها في مدرستين: مدرسة البسيكياترا التي ترى أنَ العنف بشقيه المادي والرمزي وليد الموروث البيولوجي، أمّا المدرسة الثانية فهي المدرسة الأنثروبولوجية والتي ترى أنَ العنف موروث المنتوج التاريخي، وفي النتيجة توصلنا أنَ العنف بشتى أنواعه يفسر بكلتا المدرستين في آن واحد. ولتحليل وتفسير هذا الأخير فقد اعتمدنا على المنهج الوصف التحليلي في تفسير وتبيان العلاقة القائمة بين المدرستين

الكلمات المفتاحية: العنف، مدرسة، مدرسة البسيكياترا، المدرسة الانثروبولوجية

Abstract:

The term violence has multiple connotations according to the perspective with which we discuss this behavior. The definition of violence among psychologists and sociologists differs from that of political, legal and criminological scholars. Its most important results, and in order to give it tangible effectiveness and a different reading and understanding of the term violence that the Algerian society knows, we have reached its modeling and profiling in two schools: the Psicciatra school, which believes that violence in both its material and symbolic parts is the result of the biological inheritance, while the second school is the anthropological school, which believes that violence is inherited by the product. Historical, and as a result, we concluded that violence of all kinds is explained by both schools at the same time.

Key words : violence, school, psicatra school, anthropological school.

1. مقدمة:

تتعدد الكتابات والأبحاث حول ظاهرة العنف، ولكن قليلة تلك التي تتحدث عن التراث العلمي القديم في الجزائر عن هذه الظاهرة، ومن خلال هذا المقال سنحاول أن نلقي الضوء عن أهم المفكرين والباحثين الذين درسوا هذا الموضوع ونشير إلى بعض الدراسات الأكاديمية الحديثة، وسنبدأ بالماهية ثمَ نتطرق إلى أهم المدارس كما يلي :

2. ماهية العنف:

تعد ظاهرة العنف من أخطر المشاكل التي مست المجتمعات البشرية منذ القدم، وهذا راجع لما يعيشه المجتمع من تدني في الأخلاق والقيم، فقد تعددت واختلفت أنواع وصور وأشكال العنف بين الشعوب والدول والقبائل وحتى الجماعات والأسر، فالأسرة تعتبر اليوم بيت من البيوت التي يمارس فيها العنف بمختلف أشكاله وأنواعه، فالزوج أصبح يتفنن في ممارسة العنف نحو زوجته وبشتى الوسائل، ممّا جعل الأسر تعيش اليوم في حالة لا استقرار ولا أمن وعدم الثقة وعدم الراحة .

1.2. تعريف العنف:

العنف لغة وخلفية مضاد للرفق، ومرادف للشدة والقسوة، والعنف هو(VIOLANT)المتصف بالعنف، فكل فعل شديد يخلف طبيعة الشيء ويكون مفروضاً عليه من الخارج فهو بمعني ما، فعل عنيف[1]

أمَا في القانون الفرنسي المعاصر "روبرت" (ROBERT) بأنَه:

- التأثير على الفرد أو إرغامه على العمل دون إرادته، وذلك باستعمال القوة أو اللجوء إلى التهديد.
- العنف هو الفعل أو العمل الذي من خلاله يمارس العنف.
- هو القوة القاهرة للأشياء.
- استعداد طبيعي للتعبير عن العنف ضد المشاعر والعواطف.
- السمات العنيفة لفعل ما[2]

وبالنسبة للموسوعة العلمية، فقد تناول مصطلح العنف بصفة جادة حيث قامت بشرح هذا المفهوم عن طريق تجزئة الصفات السلمية التي تنسب لهذا السلوك، وتتمثل في النقاط التالية:[3]

- عبارة عن صفة تبرز وتخلق معها عوامل بقوة جادة وقسوة معتبرة، وهي في أكثر الأحيان ضارة ومهلكة.
- هو صفة الشعور نحو الشيء بالكره والرعب.
- صفة التسامح وعدوانية كبرى ويتصف بالاندفاع والقسوة في الكلام وحتى في التصرف.
- صفة الأخص له استعداد تام لاستعمال القوة، ويتصف بالعدوانية.
- صفة المبالغة في استعمال القوة الجسدية.

- صفة لمجموعة الأفعال والتصرفات تتميز بالمبالغة في استعمال القوة العضلية أو الأسلحة أو صفة لعلاقات عدوانية حادة.
- صفة التعامل بعنف كالإرغام والقهر عن طريق القسوة.[4]

فالعنف بهذا التحديد العلمي هو عبارة عن سلوك عدواني بين طرفين كأفراد أو مؤسسات متصارعين، متحاربين، يهدف ويبغي كل منهما إلى تحقيق مكاسب ومصالح معينة أو تغير وضع اجتماعي معين، والعنف هو وسيلة لا يقرها القانون ولا يعترف بها العرف الاجتماعي، بل ينبذها ولا يجنها ككل فتعمل على درجة مجابهتها ومحاربتها ومكافحتها بالنظر لأثرها السلبية على الكيان الاجتماعي ككل، فإن من يستخدم العنف يكون الطرف الأضعف الذي يواجه طرف آخر يملك السلطة[5]، فهو يندمج ضمن الإيذاء باليد أو اللسان بالفعل أو الكلمة في الحقل التصادمي مع الأخر.[6] فالعنف هو الصفة لا قانونية في مواجهة الأخر، وهذا ما يلجأ إليه الإرهاب في استحواذه على العنف كوسيلة خارج الشرعية بغرض زرع الرعب التخويف في أوساط المجتمع عن طريق استخدام الضغط والإكراه العدواني بغية الوصول إلى السلطة بدون إطار شرعي معترف به محلياً ودولياً.

2.2.معاني العنف:

1.2.2.أصل كلمة العنف:

حسب القاموس الفرنسي المعاصر(روبرت) سنة 1978، فالعنف يعرَف كما يلي:

-التأثير عل فرد أو إرغامه على العمل رغم أنفه، دون إرادته باستعمال القوة أو التهديد.

-الفعل أو العمل الذَي من خلاله يمارس العنف.

-استعداد طبيعي للتعبير عن المشاعر أو العواطف.

-القوة القاهرة للأشياء.

-السمات العنيفة للأشياء.[7]

من خلال هذه التعريفات نستنتج أنَ كلمة العنف تعني أو تشير إلى الحوادث أو الأفعال من جهة وإلى حالة الإنسان وحالة للقوة والشعور.

والعنف أيضا يعني القوة العنيفة أو الهائجة التي لا تحترم القواعد وتتعدى النظم.

2.2.2.كلمة العنف:

إنَ كلمة العنف تنحدر من كلمة لاتينية والتي تعني السمات العنيفة أو الوحشية أو القوة.

الفعل هوVIOLENCE والذَي يعني العمل بخشونة أو العنف أو المخالفة والانتهاك وكل هذه الكلمات ترتبط بكلمة VIOLENCE والتي تعني القوة، البأس، القدرة، والعنف، واستعمال العنف العضلي (الجسدي).

ويمكن القول بأنَه كلَما تطرقنا إلى كلمة العنف برزت العبارات أو الكلمات الآتية، القدرة الطبيعية السيطرة.

كذلك تعني كلمة العنف موضوع ضرب والمعاملة السيئة، ولهذا تعتقد بأنَها أمر ظاهري، لأنَها تترك ورائها بصمات.

أمَا بالنسبة للقاموس العربي المنهل فكلمة العنف تشير إلى الشدَة، القهر، الإكراه بالإضافة إلى العبارات التالية صورة الغضب، إكراه نفسه، اغتصاب امرأة "[8]

لكن أصل كلمة العنف في اللغة العربية لا وجود لها في هذا القاموس(المنهل)

3.المقصود بسلوك العنف:

يشير مفهوم العنف إلى عدة معاني فقد يشير هذا المفهوم إلى استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما وقد يستخدم بمعنى الإكراه، وقد يبدو مفهوم العنف من المفاهيم الشائعة التي لها معنى واضح إلَا أنَ هذا المفهوم في الواقع يعتبر من المفاهيم المعقدة ولتحديد مفهوم العنف تحديداً دقيقاً يتطلب الأمر التفرقة بين العنف الشرعي والعنف غير الشرعي.[9]

1.3.العنف الشرعي: أي المقبول من وجهة نظر القانون ونجد أنَ الدولة قد تستخدم العنف بطريقة شرعية لحماية القانون والنظام داخل المجتمع.

2.3.العنف غير الشرعي: يبدو عندما يقوم أحد المجرمين بدفع أو طرح أحد كبار السن أو أحد الأطفال على الأرض فإن هذا الفعل أو التصرف يبدو بشكل واضح على أنَه ممارسة سلوك العنف وهذا هو المقصود بالعنف غير الشرعي وغير القانوني.

وهذا النمط من السلوك هو المقصود عندما نتحدث عن سلوك العنف.

3.3.العنف الفردي: ذلك العنف الذي يحدث بين الأشخاص في الحياة اليومية مثل قيام شخص معين بقتل شخص أخر أثناء ثورة من الغضب.

4.3. العنف الجماعي:يتمثل في حالة الإرهاب أو الحرب وتختلف الاستجابات الاجتماعية تبعاً لاختلاف نوع العنف، وكذلك الاستجابة لأسبابه وتفسيراته المختلفة.

ويندرج استخدام مفهوم العنف من الاتساع إلى الضيق ويشير مفهوم العنف بمعناه الواسع إلى ارتكاب بعض الجرائم العنف مثل الاغتصاب والسرقة والإكراه والقتل، ويشير هذا المفهوم بمعناه الضيق إلى مهاجمة شخص معين لشخص أخر بهدف إلحاق الضرر به دون أن يترتب على ذلك القتل مثل حالة الصفع على الوجه أو الدفع بقوة أو الضرب بشيء ما.[10]

4.نموذج ما يسمّى بمدرسة الجزائر للبسيكياترا :

قد تأسست هذه المدرسة منذ العشرينات تحت رعاية الأستاذ **A.POROT** الذي بدأ ينشر نتائج أبحاثه بالحوليات الطبيّة النفسية منذ 1918 م مع تلميذه **SUTTER**– أستاذ بسيكياتر–، ودرست رسمياً في كلية الطب منذ ذلك الوقت إلى الاستقلال، وأهم النتائج النظرية التي توصلت إليها هذه المدرسة تتمثل فيمايلي:

– الجزائري هو اندفاعي بيولوجيا ومجرم بالوراثة، وتتميز إندفاعيته بميلها الشديد للعدوانية حتّى القتل، ممّا يترتب عنه :

- ✓ أنّ الجزائري يقتل بكثرة وباستمرار، حيث أنّ نسبة الإجرام لديه هي الأكثر ارتفاعاً في العالم.
- ✓ الجزائري يقتل بوحشية، والسلاح الأكثر استعمالاً هو السيف والسكين، ويحب سيلان الدم من خلال الذبح.
- ✓ الجزائري يقتل بدون سبب.

وتذهب هذه المدرسة إلى حدّ تصنيف الأمراض النفسيّة للجزائريين تصنيفاً خاصّاً وقد لاحظت هذه المدرسة حسب إدعائها – بأنَ الجزائري المريض بالكآبة ليس معرّضاً للانتحار مثل ما هو عليه الحال في البلدان الأخرى، إذ نجد هذا المريض في البلدان الأخرى يعرّض نفسه لاتهامات ذاتية "زائفة"، انطلاقاً من تأزم ضميره الأخلاقي ممّا يدفعه إلى التحطيم الذاتي أو الانتحار .

أمّا في حالة المريض الجزائري فسلوكه لا يميل إلى تحطيم ذاته بل يميل إلى تحطيم الآخر، إنه يقتل (وقد درس هذه الحالات A.PORAT وتلميذه MONSERRAT الذّي ناقش أطروحته حول هذا الموضوع ويفسرون هذا الاختلاف بكون أنّ الانتحار يعني القيام بعملية استبطانية والعودة للذات الداخلية لمحاسبتها والجزائري ليست له ذات داخلية، بل يسقط كل ذلك على محيطه وعلى الخارج.

5.المدرسة الأنتروبولوجية التاريخية :

تشتمل هذه المدرسة على تيارين، فهي تحاول أنَ تفسر العنف في الجزائر انطلاقاً من الموروث الثقافي والتاريخي عكس المدرسة السابقة التي تعتمد على الموروث البيولوجي، إلّا أنّها تنقسم إلى فرعين حين تحاول تزمين الموروث:

1.5. **التيّار الأول: يعتقد أنّ تاريخ الجزائر يعتمد ويتسّم بالعنف منذ أقدم العصور:**

و من بين الباحثين الذين أكدوا على ذلك :

– "**يوسف نسيب**" في مقاله " **انتروبولوجيا العنف**" الذي يقول فيه: " إنّ العنف يسكن تاريخ الجزائر"

– MARTINGLUIS: "إنّ خاصية التاريخ المعاصر لهذه الدولة الفتية يختلف عن بقية جيرانه ما عدى ليبيا بتجذر العنف في تاريخه"

– E. BRUNO: "يكون العنف جزء لا يتجزأ من الثقافة السياسية للجزائر، وذلك منذ أمد بعيد".

2.5. التيّار الثاني: يعتقد أنّ تاريخ الجزائر يعتمد ويتسّم بالعنف الموروث عن الثورة والحركة الوطنية:

ومن بين الباحثين الذين أكدوا على ذلك :

- **رواجية.**
- **B.STORA.**
- **بوكروح**[11]

✓ **العنف وثقافة العنف في الجزائر:**

– ضعف الدولة الوطن.

– المتزامن مع ظهور فجوات في عملية التحديث والتنمية .

– ظهور مشروع جديد يقوم على إشباع خيالي لكل الرغبات قائماً على العنف .

– التقاء العنف الإجرامي والتاريخي والديني والمخيالي والثقافي، وهو يقوم على نفس المخيال الذي قامت عليه حرب التحرير أي أنّه عنف أضحياتي، أي أنَ زيادة الموتى وكثرة عددهم وسيلان دمائهم يؤدي بالضرورة للنصر، وكان ذلك يتم بطريقة أوتوماتيكية ممّا يبين المبدأ الأسطوري اللاواعي الذي يقوم عليه العنف الاضحياتي.[12]

ولقد أكّد الدكتور **علي سموك** في كتابه " إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقاربة سوسيولوجية، على أنّه من الصعوبة بمكان، التعرض لإشكالية العنف في المجتمع الجزائري ومقاربتها سوسيولوجيا بالاعتماد على مؤشرات واحدة، ومن ثمّ فلا بدَ في مرحلة أولى من التمييز والضبط داخل المؤشرات بالشكل الذي يعكس اختلاف تأثيرات الظروف التاريخية والثقافية والإقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية ...، وهذا إلى جانب التمييز بين الصور والأشكال المختلفة للعنف في المجتمع الجزائري، وهنا توصل إلى تصنيف الأفعال العنفية استناداً إلى خمسة دلالات وهي :

– دلالة صورة الفعل العنيف وطبيعته .

دلالة أهداف الفعل العنيف ودوافعه، إذ يمكن أن يكون للفعل العنفي هدف إجرامي أو إذ يمكن أن يكون للفعل العنفي هدف إجرامي أو إقتصادي أو جماعي أو سياسي أو ثقافي أو ديني ..

– دلالة طبيعة القوى التي تمارس العنف وموقعها في الحقل الاجتماعي الجزائري .

- دلالة حجم الفاعلين في العنف .
- دلالة درجة تنظيم الفاعلين الممارسين للفعل العنفي .[13]

6.العنف المدرسي في الجزائر من خلال بعض الدراسات الامبريقية.

إنّ العنف بشكله المدرسي يمثل أحد فروع العنف الاجتماعي العام الذي أجمع المختصين على اعتباره أنه:

" استخدام القوة أو التهديد واستخدامها بطريقة غير شرعية للتأثير على إرادة شخص أو جماعة أو إلحاق الأذى والضرر لهم، سواء كان هذا الضرر مادي أو معنوي، فهو غالباً ما يقع ضمن حدود المدرسة سواء داخلها أو بالقرب منها، ويمتاز بخصوصية الأطراف الفاعلة فيه الذين هم أعضاء المدرسة سواء كانوا أساتذة، عمّال فيها أو تلاميذ".

وما يزيد من خطورة هذه الظاهرة الاجتماعية التربوية هو درجة استفحالها في الآونة الأخيرة إذ انتشرت مظاهر جديدة لها في الوسط المدرسي الجزائري، ويمكن أن نقارن بين هذه المظاهر في القديم والحديث كما يلي:

1.6. الشكل القديم في مظاهر العنف المدرسي:

- كان يمارس من طرف الأساتذة ضد التلاميذ أو تلميذ ضد تلميذ آخر.
- كان الحديث يقتصر على المحيط المدرسي من خلال الندوات واللقاءات الخاصة.

2.6.الشكل الجديد لمظاهر العنف المدرسي:

أصبح يمارس من طرف التلاميذ ضدّ أساتذتهم (القتل – هتك العرض – السب والشتم والضرب – تحرشات جنسية ...)

وهو حديث العام والخاص وقد طرح هذا الموضوع للنقاش عبر وسائل الإعلام بمختلف وسائلها، وصل إلى غاية البرلمان حيث كشف وزير التربية والتعليم السابق "بن بوزيد أبو بكر" في جريدة الخبر وذلك في يوم 9 أفريل من سنة 2007، " أنّ هناك لجنة وطنية تدرس ظاهرة العنف في الوسط المدرسي وستعرض تقريرها الكامل على رئاسة الحكومة، وأنّ هناك عقوبات صارمة تطبق على المتسببين في هذه الظاهرة "[14]

3.6. العنف في ثانويات العاصمة :

قامت الباحثة "بوشوك حسينة " بإجراء بحث بعنوان "العنف في ثانويات العاصمة" وأجرت دراستها الميدانية على عينة شملت 285 فردا مقسمين على فئتين: الفئة الأولى متمثلة في عدد التلاميذ وعددهم (226) فردا والفئة الثانية متمثلة في رجال التعليم (59) فردا موزعين على ثلاثة مدارس مختلفة هي:

المقراني 2 (الواقعة في حي راقي) وجمال الدين الأفغاني الواقعة في منطقة شعبية وثانوية رابح عمراني الواقعة في منطقة على هامش مدينة الجزائر، وذلك بغية الإجابة على التساؤلات التالية:

أولا: ما مدى انتشار ظاهرة العنف في الوسط المدرسي الثانوي؟ وما هي المظاهر والأشكال التي تتخذها ظاهرة العنف في الوسط الثانوي؟

ثانيا: هل صحيح أنّ درجة الإقبال على ممارسة العنف من طرف التلاميذ في المدرسة تختلف من مدرسة إلى أخرى بحسب موقع المدرسة والبيئة الخارجية المتواجدة بها هذه المدرسة؟

وهل صحيح أن التلاميذ الذين ينتمون إلى مدارس تقع في أماكن معينة أكثر ممارسة للعنف في مدرستهم مقارنة بزملائهم الذين ينتمون إلى مدارس تقع في أماكن معينة أخرى؟

أخيرا: أي من الأطراف الثلاثة مسؤول عن ظاهرة العنف في المدرسة؟

- هل هي أسرة التلميذ؟
- هل هي المدرسة نفسها؟
- أم أنّ العنف تسرب للمدرسة من المحيط الخارجي (المجتمع)؟
- أم أنّ المسؤولية مشتركة بين الأطراف الثلاث؟[15]

ولقد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

أولا: تمس ظاهرة العنف المدرسي أغلب المدارس الجزائرية، وهي ظاهرة واسعة الانتشار في الوسط المدرسي الجزائري وتتخذ أشكالا ومظاهرا متعددة مثل: العنف المعنوي والعنف الرمزي والعنف المادي.

– فظاهرة العنف تنتشر في المدارس الثلاث دون استثناء وتتخذ أشكالا متعددة منها ما له مظهر مادي كالضرب ومنها ما يتخذ مظهرا معنويا كالاحتقار والتعسف والشتم وغيرها من المظاهر ومنها ما يتخذ مظهرا سلوكيا كالتدخين في المدرسة وتعاطي المخدرات والسرقة، ولكن أكثر المظاهر انتشارا يتمثل في الشجارات بين التلاميذ والشتم وإفساد الأثاث المدرسي، وأقلها انتشاراً الضرب المادي لاسيما اتجاه الأساتذة وتعاطي المخدرات والسرقة، وهذا على مستوى المدارس الثلاث وهذا ما يجعلنا نقول أن هذه الظاهرة موجودة فعلا بغض النظر عن موقعها ووسطها الاجتماعي ويمكن تصنيفه على الشكل التالي:

– العنف الناتج عن التلاميذ فيما بينهم هو الأكثر شيوعا ويتمثل في سلوك الشتم والسب والسخرية والشجارات بين التلاميذ وبدرجة أقل الضرب والجرح العمدي.

– العنف الموجه من التلميذ نحو أستاذه أو إدارة المدرسة والعاملين بها ويتمثل في إثارة الفوضى والتأثير على سير الدرس والشتم والتهكم وعصيان الأوامر ورفض الانصياع وتدمير ممتلكات المدرسة وبدرجة أقل الضرب.

– العنف الموجه من الإدارة والأساتذة ضد التلاميذ هو راجع في أغلب الأحيان إلى سوء العلاقات التربوية في المدرسة والتعسف في استعمال السلطة المدرسية وضعف التكوين وضعف الأداء التربوي، وغالبا ما يقع تحت غطاء العقاب.

– العنف بين الإدارة المدرسية والأساتذة وهو أقل نوع شيوعا في المدرسة على الإطلاق وهو راجع إلى المشاكل الإدارية الناجمة عن سوء التسيير أو التعسف أو سوء الأنظمة القانونية.

– يؤثر موقع المدرسة في نوع العنف الذي يكون مصدره أطرافا من خارج المدرسة .

ثانيا: بتحول المدرسة إلى وسط مفتوح على الخارج وعجزها على البقاء وسطا مغلقا لما يحدث خارجاً جعل العنف العام المتواجد على مستوى المجتمع يدخل إلى المدرسة، فالتلميذ حينما يمارس العنف في مدرسته هو يكون بصدد إعادة إنتاج ما تعرّض إليه أو شاهده من عنف خارجاً عندما يكون متوجهاً نحو مدرسته سواء في الشارع –المجتمع– أو ما اكتسبه في وسطه الأسري من رصيد ثقافي واجتماعي وقيم ومعايير وهذا من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

الاستنتاج العام :

القضاء الكلي على هذه الظاهرة السلبية بطريقة فورية وسريعة غير ممكن حالياً ولكن يمكن التقليل من حدتها في كثير من الحالات، والحد من انتشارها والتقليل من وجودها وذلك عندما تستشعر الأسرة دورها التربوي في توجيه الطالب التوجيه الإيجابي نحو المدرسة كونها بيئة ثانية يتعلم فيها الكثير من المعارف والعادات التربوية والاجتماعية ولن يكون ذلك هادفاً ما لم يكن هناك توجهات إيجابية للأسرة نحو التربية والتعليم على وجه العموم وحول المدرسة والمعلم على وجه الخصوص، ويأتي دور المؤسسات التربوية والإعلامية جليا في ترسيخ هذه المفاهيم للمجتمع بمختلف فئاته فنظرة المجتمع للعملية التربوية والتوجه نحوها هو المنطق الأول نحو فعالية الطالب داخل مدرسته، ويأتي في المقام الثاني الدور الأهم للمدرسة في تشكيل شخصية المتعلم وتوجيه سلوكه نحو الفضيلة والإيجابية ليس فقط بالأسلوب التعليمي ولكن بالممارسة الفعلية للعلاقات التربوية داخل المدرسة: فالمدرسة غير الملائمة بتجهيزاتها وعلاقات أفرادها، والتي تهضم حقوق المتعلمين، وتجعل من التلميذ شخصاً هامشياً، لا شكَ أنها مدرسة غير مرغوب فيها ولا محببة، بل فإنَها تكون بيئة لممارسة التمرد على الأنظمة والقوانين وممارسة مزيد من المخالفات[16].

4.6.العنف اللفظي (العنف الرمزي) في ثانويات عاصمة الجزائر :

أولاً :مفهوم العنف اللفظي:

من المعلوم أن العنف نوعان: عنف فيزيائي يكون بإلحاق الضرر بالآخرين جسدياً ومادياً وعضوياً، وعنف رمزي مهذب يكون بواسطة اللغة، والهيمنة، والإيديولوجيات السائدة، والأفكار المتداولة. ويكون أيضاً عن طريق السب، والقذف، والشتم، والدين، والإعلام، والعنف الذهني. لذا، يعرفه بيير بورديو بقوله:" العنف الرمزي هو عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة. أي: عبر التواصل، وتلقين المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات".[17] والعنف اللفظي أحد أشكال العنف الرمزي فهو سلوك لفظي، منطوق أو مكتوب، يتخذ طابعا هجوميا أو دفاعيا يمارسه فرد أو جماعة أو هيئة مقابلة، حاضرة أو غائبة، وذلك عند حصول ضرر مادي أو معنوي أو عند حصول مواجهة أو تنافس أو صراع أو اعتداء، لذلك

اعتبر العنف اللفظي في كثير من الأحيان مقدّمة تفترض حصول عنف مادي أو تشجّع على انفجاره كما اعتبر حقلا صراعيّا بين ثنائيات أهمها: الذكر/الأنثى، الغني/الفقير، القوي/الضعيف والحاضر/الغائب[18].

وفي هذا الإطار تمت دراسة عينة من ثانوية الجزائر العاصمة ، من طرف إحدى الباحثات حيث شملت عينتها على 120 تلميذ وذلك في سنة 2008، وانطلقت من مجموعة من التساؤلات وهي:

– ماهي الأسباب المباشرة والغير مباشرة وماهي الدوافع التي تدفع التلاميذ إلى اللجوء إلى استعمال العنف اللغوي " اللفظي" (العنف الرمزي)؟

– رغم أنّ التربية تعتبر بمثابة القاعدة الرئيسية لإنشاء مجتمع سليم وهذا ما يؤكده "جون ديوي" عندما يقو:" إنّ التربية هي وسيلة استمرار المجتمع تماماً كما يحدث في الحياة البيولوجية، حيث يتم نقل العادات وأنماط التفكير والإحساس، من الكبير إلى الصغير من خلال التربية، وبذلك تستمر حياة المجتمع".

– فهل التربية التي تحصلوا عليها عبر مختلف المؤسسات التنشيئية كالأسرة، والمدرسة ووسائل الإعلام ... إلخ هي التي تساهم في استعمال التلاميذ للعنف اللغوي اللفظي؟

– كما نتساءل هل للضغوط الدراسية والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية تأثير في استعمال التلميذ للفظ العنيف؟

– وهل الانحرافات السلوكية والأخلاقية لبعض التلاميذ هي، التي تؤدي بهم إلى استعمال العنف اللغوي (اللفظي)؟و قد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

*** الإجابة عن التساؤل الأول :**

– التنشئة الاجتماعية والتربية التي تلقاها التلميذ من أسرته التي تقوم بتزويده بمجموعة من القيم والتقاليد والعادات النبيلة التي تقود سلوكه وتوجه حركته في المجال الاجتماعي ونفس الأمر بالنسبة لباقي المؤسسات التعليمية الأخرى كالمدرسة ووسائل الإعلام التي تلعب دورا أساسيا في تشكيل شخصية الفرد في المستقبل، وفي تكوين الاتجاهات الاجتماعية لديه، وقد أكد البحث على أهمية التنشئة الاجتماعية لتلميذ فبقدر اشتراك الأفراد في العمل سويا بقدر شعور كل منهم بأنّ الجماعة التي ينتمي إليها ذات أهداف مرسومة يتقبلها ويعمل على تحقيقها لأن في ذلك ضمان لبقائها واستمرارها وبقائهم واستمرارهم أيضا، فالضبط الاجتماعي ضروري لبقاء الإنسان.

– فالعنف اللغوي في الوسط الثانوي ظاهرة أثبتت وجودها حقا نطقا وكتابة وإشارة، كما أنّ استفحال هذه الظاهرة ما هو إلاّ تعبير سلبي عن المواطنة في مستوى اللغة، وعجز عن التعايش مع الفضاء العمومي الذي يحتك فيه الفرد بالجماعة الثانوية.

*** الإجابة عن التساؤل الثاني:**

– استعمال التلميذ في وسطه الثانوي له علاقة بالمشاكل الدراسية والاقتصادية والاجتماعية التي يواجهها طيلة مشواره الدراسي .

– وجود مشكلات عميقة لها الصلة بكل الأبعاد المكونة لمجتمع الثانوية وبداية المشكلات الأكثر عمقا، فيسجل التلميذ عدم رضاه بما يقدمه معظم الأساتذة، وشعورهم بأنّ الكثير من المقررات الدراسية لا تتماشى ومتطلبات العصر وبعيدة كل البعد عن الحياة اليومية للتلميذ، وذلك من أهم الأسباب التي تشعرهم بالملل داخل قاعات الدراسة وفيالثانويات ككل.

– رداءة الحياة الثانوية وعدم صلاحية مرافقتها وأحيائها، مع تسجيل نقص واضح لقاعات العمل في الثانوية، ضبابية في القوانين التي تحكم سير الثانوية، ينتج عنه نظام للدراسة غير واضح وكذلك الامتحانات، إضافة إلى قلة اختيار التخصصات الملائمة لميول التلميذواستعداداته.

– علاقة الإدارة بالتلميذ الذي يرى أنَها لا تعامله بالطريقة التي تشعره بأنه موضع اهتمامها، هذا ما يدفع التلميذ إلى استعمال السلوك أللاأخلاقي والغير حضاري في الوسط الثانوي.

*** الإجابة عن التساؤل الثالث:**

– الانحراف يوّلد اللفظ العنيف والبذيء .

– هو أحد المؤشرات التي تدلنا على وجود ظواهر اجتماعية قائمة داخل المجتمع .

– كثرة وقت الفراغ الذي يعيشه التلميذ يؤدي به إلى ممارسة انحرافات أخلاقية وسلوكية في الوسط الاجتماعي كالتدخين والمخدرات والسرقة، اللباس الغير محتشم والعلاقة بين الجنسين وهؤلاء هم من يستعملون اللفظ البذيء في الثانويات.

الاستنتاج العام:

العنف اللغوي في الوسط الثانوي أصبح يمثل آلية للتمايز بين المجموعات، ووسيلة لدى بعض التلاميذ للتعبير عن مشروعيته الانتماء إلى المجموعة الاحداث وهذا التعبير ما هو إلاّ تعبير سلبي عن المواطنة في مستوى اللغة وعجز عن التعايش في الوسط الثانوي الذي يحتك فيه التلميذ هي سبب لاستعماله السلوك اللفظي العنيف في الوسط الثانوي، كما أنَ الضغوط الدراسية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية تدفع إلى السلوك اللاأخلاقي واللاحضاري في وسط ينبغي أن يكون الاستعمال فيه غير ذلك، كما أنّ الانحرافات التي يقوم بها بعض التلاميذ كالتدخين والسرقة وغيرها هي سبب استعمال هذه الألفاظ البذيئة، وفي الأخير خلصت الباحثة إلى استنتاج هام هو :

أن " الثانوية تستطيع أن تؤدي دوراً أكبر وأهم في المساهمة في حل كثير من المشكلات التي يواجهها التلميذ لو عمقت الدراسة في هذه المشكلات وعملت وفق نظام محدد لأولويات المشكلات الحادة، مع تغيير في

مناهجها بما يسمح لكل تلميذ أن يجد ما هو متوقع من الثانوية، مع ربطها بواقع الحياة اليومية، وتصبح فضاء لتنمية مواهب التلميذ وتفجير طاقاته بالقدر الذي يساعد اكتشاف ذاته"[19]

7.خاتمة:

نالت ظاهرة العنف في الجزائر اهتمامات الباحثين منذ القدم، فلها من الخصائص ما يجعلها متميّزة بسب خصوصيات المجتمع الجزائري ذاته، ومختلف الدراسات الحديثة تثبت أنّ العنف بشقيه المادي والرمزي ليس وليد الموروث البيولوجي كما ادعت ذلك مدرسة البسيكياترا ولا موروث المنتوج التاريخي كما ادعت ذلك المدرسة الأنتروبولوجية، بل هي نتاج للعاملين معاً، وهو وسيلة للتعبير عن الواقع المعاش من جهة ووسيلة للتمظهر في بعض الحالات من جهة أخرى.

8.الهوامش:

[1]-جمل صليبا، معجم الفلسفة، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، 1982، ص 112.

[2]- Rebertp, dictionnaire, le Robertanaphabétique et analogique de la langue française. Société chenauvau Ré ver S.N.P1997 P 209.

[3]- LAROUSE Dictionnaire encyclopédique, Libraire Larousse, France, 1988, Tome 10, P107.

[4]- OP, cite, P197.

[5]- محمد أحمد بيومي، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 100.

[6] - خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984، ص 138.

[7].LE ROBERT ANALPGABéTIQUE ET ANALOGIQUE DE LA LANGUE Française. P 2097Dictionnaire :

[8]القاموس العربي المذهل، دار الأدب، دار العلم للملايين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 1098.

[9]-ابراهيم جابر، العنف الاسري واسبابه، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، 2012، ص ص 9-10.

[(10)]-المرجع المذكور سابقا، ص 10.

[11]- عبد الرحمان بوزيدة : محاضرات حول العنف غير منشورة.

[12]- عبد الرحمان بوزيدة : العنف بين الحداثة والأسطورة، دفاتر مخبر التغيير الاجتماعي (العنف،الحراك الهجرة . الترجمة التربية، الاستهلاك)، ملحقة جامعة الجزائر – بوزريعة –، العدد 1، 2007، ص ص: (15-16).

[13]- علي سموك : إشكالية العنف في المجتمع الجزائري "من أجل مقاربة سوسيولوجية "، مخبر التربية (الانحراف و الجريمة في المجتمع)، جامعة باجي مختار – عنابة –، 2006، ص 325 .

[14]- بوشوك حسينة : العنف في ثانويات العاصمة " دراسة ميدانية مقارنة بثانويات: المقراني 2، جمال الدين الأفغاني، رابح عمراني بولاية الجزائر"، (مذكرة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في علم الاجتماع التربوي، إشراف الدكتور عبد الرحمان بوزيدة)، جامعة الجزائر2، 2008/2007، ص ص: (6-7).

[15]- نفس المرجع، ص (7).

[16]- نفس المرجع، ص ص: (181-185).

[17]- Pierre Bourdieu et Loïc Wacquant :Réponses: pour uneanthropologieré flexive, Paris, Seuil, 1992,pp:(141-143)

[18]– نجيب بوطالب وآخرون: ظاهرة العنف اللفظي لدى الشباب التونسي، المرصد الوطني للشباب، تونس، ط2، 2004، ص 20.

[19]– بن عيسى إيمان: العنف اللغوي "اللفظي" للطلبة الجامعيين " دراسة عينة من طلبة ملحقة بوزريعة " الجزائر"، (مذكرة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في علم الاجتماع المعرفة)، 2010/2009، ص ص:(7-170).

9. قائمة المراجع

اولا: الكتب باللغة العربية

1. ابراهيم جابر، العنف الاسري واسبابه، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، 2012.
2. جمل صلبيا، معجم الفلسفة، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، 1982.
3. خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1984.
4. القاموس العربي المذهل، دار الأدب، دار العلم للملايين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
5. محمد أحمد بيومي، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، دار المعرفة الجامعية، 1999.

ثانيا: الرسائل والمذكرات

6. بن عيسى إيمان: العنف اللغوي "اللفظي" للطلبة الجامعيين " دراسة عينة من طلبة ملحقة بوزريعة " الجزائر"، (مذكرة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في علم الاجتماع المعرفة)، 2010/2009.
7. بوشوك حسينة : العنف في ثانويات العاصمة " دراسة ميدانية مقارنة بثانويات: المقراني 2، جمال الدين الأفغاني، رابح عمراني بولاية الجزائر"، (مذكرة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير في علم الاجتماع التربوي، إشراف الدكتور عبد الرحمان بوزيدة)، جامعة الجزائر2، 2008/2007.
8. نجيب بوطالب وآخرون: ظاهرة العنف اللفظي لدى الشباب التونسي، المرصد الوطني للشباب، تونس، ط2، 2004.

ثالثا: المقالات

9. عبد الرحمان بوزيدة : العنف بين الحداثة والأسطورة، دفاتر مخبر التغيير الاجتماعي (العنف،الحراك الهجرة . الترجمة التربية، الاستهلاك)، ملحقة جامعة الجزائر – بوزريعة –، العدد 1، 2007.
10. علي سموك : إشكالية العنف في المجتمع الجزائري "من أجل مقاربة سوسيولوجية "، مخبر التربية (الانحراف و الجريمة في المجتمع)، جامعة باجي مختار – عنابة –، 2006.

رابعًا: الكتب باللغة الأجنبية

1. LAROUSE Dictionnaire encyclopédique, Libraire Larousse, France, 1988, Tome 10,
2. LE ROBERT ANALPGABéTIQUE ET ANALOGIQUE DE LA LANGUE Française. P 2097Dictionnaire :
3. Pierre Bourdieu et Loïc Wacquant : Réponses: pour uneanthropologieré flexive, Paris, Seuil, 1992,
4. Rebertp, dictionnaire, le Robertanaphabétique et analogique de la langue française. Société chenauvau Ré ver S.N.P1997.